



-1-

مع تقدم الثورة يوماً بعد يوم، ومع إصرار الشعب التائر على مطالبه وصبره على ثورته؛ وصلنا إلى نقطة لم يعد ممكناً فيها إنتهاء الثورة إلا بإسقاط بشار الأسد وأركان حكمه -بإذن الله-. هذه الحقيقة أدركَتها القوى الغربية التي تابعت الثورة منذ أيامها الأولى، فلم تعد قادرة على الاستمرار في دعم ذلك النظام الذي منحته بركاتها على مر السنين، وقررت -بال التالي- أن تتخلى عنه. ولكن ماذا عن البديل؟

لا بد أنهم بدؤوا يتصلون بالمعارضة السورية في الخارج والداخل منذ شهور، وقد بات من المعلوم الآن أنهم مارسوا ضغوطاً كثيرة على أطراف المعارضة المختلفة وصولاً إلى تركيبة ترضيهم وتتضمن مصالحهم المستقبلية، في حدودها الدنيا على الأقل، وهذا كله مفهوم لأن الدافع الذي يحرّك تلك الدول ليس دافعاً أخلاقياً أبداً وإنما هو دافع مصلحي كما يعرف الجميع، لذلك سكت أهل الثورة ولم يعتربوا، ولكنهم قرروا أن يبقوا حذرين وأن يُبْقوا أعينهم مفتوحة.

في وقت لاحق روّجت بعض الجهات لحل يسمح ببقاء النظام مؤقتاً مع نقل تدريجي آمن للسلطة يستغرق سنة أو سنتين، لكن الثورة كانت أكثر وعيّاً من أن تبلغ الطعم، وثابتت على التمسك بالهدف المعلن وهو الإسقاط الفوري والكامل للنظام، وفشلت المحاولة المشبوهة لحل الأزمة -بحمد الله-.

بعد ذلك تداولت بعض الدوائر الغربية حلاً توافقياً على الطريقة اليمنية، حيث يتخلى بشار الأسد عن الحكم ويسلم السلطة إلى نائب أو إلى شخصية مقبولة غيره، وتشكل حكومة ائتلافية تضم وزراء من السلطة الحالية ومن المعارضة. في هذا السياق تسربت منذ أسبوعين أنباء -لا أستطيع القطع بصحتها- عن خطة أميركية روسية تقضي بأن يحصل بشار الأسد وعائلته على "منفى مريح" في روسيا مقابل الموافقة على نقل السلطة إلى جهة تكون مقبولة من الأميركيين والروس. ولعل ما كشفه أمين الجامعة العربية يمشي في هذا السياق أيضاً، ألم تسمعوا حديثه عن "مساعي يقوم بها رؤساء دول ورؤساء حكومات يتصلون بسوريا ويتوسطون لحل الأزمة"؟ وقبل ذلك وبعد راجت أخبار عن عروض لاستضافة بشار في بعض دول أوروبا الشرقية، أو حتى في دولة الإمارات العربية، مع منحه حصانة كاملة من أي مساعدة أو ملاحقة قانونية!

**لدينا هنا سؤالان نطرحهما عليكم يا دول العرب ودول الشرق والغرب:**

أولاً: من فوضكم بمنح المجرم الكبير حصانة وضمانة من المحاكمة؟ هل سبق أن منح السوريون أحداً من القتلة والمجرمين في أميركا أو فرنسا أو روسيا أو الإمارات أو غيرها من الدول، هل منحنا أحداً من مجرميكم حصانة من قضاء

بلادكم؟ سوف نسأل وسوف نجيب: لم نفعل، ولن نقبل أن يفعل ذلك بنا أحدٌ منكم. من حقنا أن نحاكم مجرميـنا على أرضنا وأمام محاكمـنا العـادلة، وإذا صدر الحكم بشنقـهم فمن حقـنا أن نشنقـهم بأيديـنا على أعمدة الكهربـاء في ساحـات بلـادـنا، أما إذا صدر الحكم ببراءـتهم فسوف نهـبـهم لكم لتفعلـوا بهـم ما تـشـاؤـون.

ثانياً: أنتـم تخطـطـون لمنـحـ بـشارـ الأـسدـ وـعـائـلـتـهـ مـنـفـيـ مـريـحاـ مـقـابـلـ المـوـافـقـةـ عـلـىـ نـقـلـ السـلـطـةـ إـلـىـ جـهـةـ تـكـونـ مـقـبـولـةـ مـنـ الأمـيرـكـيـيـنـ وـالـرـوـسـ. أـكـرـرـ لـكـيـلاـ يـظـنـ أـحـدـ مـنـ القرـاءـ أـنـيـ أـهـذـلـ: "جـهـةـ مـقـبـولـةـ مـنـ الأمـيرـكـيـيـنـ وـالـرـوـسـ". أـيـ أـحـدـ لاـ يـبـدـوـ مـهـنـمـاـ بـرـأـيـكـمـ أـنـتـمـ يـاـ جـمـهـورـ الثـورـةـ، يـاـ مـلـايـينـ السـوـرـيـيـنـ الـكـرـامـ، يـاـ مـنـ بـذـلـمـ التـضـحـيـاتـ الـجـسـامـ وـعـشـتـ فـيـ الـمـحـنـةـ الـمـئـاتـ الـطـوـالـ التـقـالـ منـ الـأـيـامـ... أـنـتـمـ لـأـيـكـمـ وـلـأـهـمـيـةـ لـرـضـاـكـمـ عـمـنـ يـحـكـمـكـمـ، الـمـهـمـ أـنـ تـرـضـيـ عـنـهـ أـمـيرـكـاـ وـرـوـسـيـاـ! خـسـيـتـ أـمـيرـكـاـ وـخـسـيـتـ رـوـسـيـاـ وـخـيـبـ اللـهـ مـسـاعـاهـماـ، وـلـيـعـلـمـ الـعـالـمـ كـلـهـ أـنـ الثـورـةـ هـيـ مـنـ تـقـرـرـ مـصـيـرـهـاـ، لـاـ يـقـرـرـ عـنـهـ هـذـاـ الـقـارـأـ أـحـدـ غـيـرـهـاـ.

الظـاهـرـ أـنـ أـمـيرـكـاـ وـالـدـوـلـ الـأـوـرـبـيـةـ يـظـنـونـ أـنـ الـمـجـرـمـ الـكـبـيرـ وـأـخـاهـ الـحـقـيرـ وـأـعـوـانـهـمـاـ مـنـ كـبـارـ الـمـجـرـمـينـ هـمـ الـمـشـكـلـةـ وـأـنـ إـخـرـاجـهـمـ مـنـ سـوـرـيـاـ سـيـحـلـهـاـ وـيـنـهيـ الـثـورـةـ، لـذـلـكـ بـدـؤـواـ بـجـهـدـ مـحـمـومـ هـدـفـهـ إـبعـادـ هـذـهـ الـمـجـمـوعـةـ -ـأـوـ أـكـثـرـهـاـ. عنـ الـبـلـادـ إـلـخـرـاجـهـمـ مـنـ مـعـادـلـةـ الـحـلـ الصـعـبـةـ. وـالـمـضـحـكـ أـنـهـمـ مـاـ إـنـ طـرـحـواـ ذـلـكـ الـمـشـرـوـعـ الـتـوـافـقـيـ حـتـىـ قـفـزـ فـجـأـةـ أـمـامـ أـعـيـنـنـاـ اـثـنـانـ لـمـ نـسـمـعـ لـهـمـاـ صـوـتاـًـ مـنـذـ بـدـاـيـةـ الـثـورـةـ، خـدـامـ وـرـفـعـتـ، وـكـأـنـ كـلـ وـاـحـدـ مـنـهـمـ يـقـوـلـ: أـنـاـ هـنـاـ، أـنـاـ مـسـتـعـدـ لـقـيـادـةـ سـوـرـيـاـ فـيـ الـمـرـحـلـةـ الـاـنـتـقـالـيـةـ! نـسـيـ الـاثـنـانـ أـنـهـمـاـ كـانـاـ شـرـكـاءـ فـيـ نـظـامـ الـإـجـرـامـ لـسـنـيـنـ طـوـيـلـةـ، بلـ حـاـوـلـ رـفـعـتـ أـنـ يـغـسـلـ أـدـمـغـتـنـاـ وـأـنـ يـنـسـيـنـاـ أـنـهـ قـتـلـ مـنـاـ عـشـرـاتـ الـأـلـافـ ذـاتـ يـوـمـ، وـرـاحـ يـتـبـاـكـيـ بـدـمـوعـ الـتـمـاسـيـحـ وـيـسـتـدـرـ الـعـطـفـ وـكـأـنـاـ شـعـبـ بـلـ ذـاـكـرـةـ... لـكـنـ الـثـورـةـ قـطـعـتـ عـلـيـهـمـ الـطـرـيقـ -ـبـفـضـلـ اللـهــ. وـأـعـادـهـمـ إـلـىـ الـجـحـورـ الـتـيـ خـرـجـاـ مـنـهـاـ خـائـبـينـ.

لـقـدـ اـنـتـبـهـ النـاسـ إـلـىـ خـطـورـةـ اـنـتـصـارـ الـثـورـةـ اـنـتـصـارـأـ جـزـئـاـ فـأـصـرـواـ عـلـىـ اـنـتـصـارـ الـكـلـيـ وـرـفـضـواـ مـرـحـلـةـ اـنـتـقـالـيـةـ يـقـودـهـاـ نـائـبـ الرـئـيسـ، أـيـ نـائـبـ الـمـجـرـمـ الـكـبـيرـ، لـأـنـ نـائـبـ الـمـجـرـمـ مـجـرمـ بـالـضـرـورةـ. وـرـفـضـواـ حـكـومـةـ اـنـتـقـالـيـةـ مـخـتـلـطـةـ مـنـ شـخـصـيـاتـ الـمـعـارـضـةـ وـشـخـصـيـاتـ الـنـظـامـ الـحـالـيـ، وـلـكـنـهـمـ لـمـ يـنـتـبـهـواـ إـلـىـ الـجـزـءـ غـيرـ الـمـعـلـنـ مـنـ الـمـشـرـوـعـ فـبـقـيـتـ تـلـكـ الـثـغـرـةـ مـفـتوـحةـ، وـمـنـهـاـ بـدـأـتـ تـتـسـلـلـ الـمـؤـامـرـةـ الـخـطـيرـةـ الـأـخـيـرـةـ.

الـمـشـرـوـعـ الـاـنـتـقـالـيـ تـحدـثـ عـنـ رـئـيسـ يـتـخلـىـ عـنـ السـلـطـةـ لـنـائـبـهـ وـعـنـ تـشـكـيلـ حـكـومـةـ مـؤـقـتـةـ مـخـتـلـطـةـ لـقـيـادـةـ الـبـلـادـ فـيـ الـمـرـحـلـةـ الـاـنـتـقـالـيـةـ، وـلـكـنـ مـتـىـ كـانـتـ الـحـكـومـاتـ تـقـودـ سـوـرـيـاـ يـاـ أـيـهاـ السـادـةـ؟ـ مـنـ الـذـيـ يـقـودـ سـوـرـيـاـ وـمـنـ الـذـيـ يـسـيـطـرـ عـلـىـ الـدـوـلـةـ بـوـزـارـاتـهـاـ وـإـدـارـاتـهـاـ جـمـيـعـاـ؟ـ كـلـ سـوـرـيـ يـعـرـفـ الـجـوابـ، إـنـهـاـ أـجـهـزـةـ الـأـمـنـ. وـكـيـفـ جـاءـ الـأـسـدـ إـلـىـ الـحـكـمـ وـكـيـفـ بـقـيـ فـيـهـ كـلـ تـلـكـ السـنـيـنـ الـكـيـيـةـ مـنـ عـمـرـ سـوـرـيـاـ؟ـ أـلـيـسـ بـالـجـيـشـ الـذـيـ غـيرـ الـأـسـدـ بـعـدـ ذـلـكـ تـرـكـيـبـهـ الطـائـفـيـ لـيـبـقـيـ خـادـمـاـ لـنـظـامـهـ وـحـارـسـاـ شـخـصـيـاـ لـهـ وـلـعـائـلـتـهـ بـدـلـاـ مـنـ حـرـاسـةـ وـحـمـاـيـةـ الـبـلـادـ؟ـ

ماـذـاـ عـنـ أـجـهـزـةـ الـأـمـنـ وـمـاـذـاـ عـنـ الـجـيـشـ فـيـ الـحـلـ الـتـوـفـيـقـيـ الـمـزـعـومـ؟ـ هـنـاـ الـمـفـاجـأـةـ.

-2-

الـثـورـةـ الـمـبـارـكـةـ تـنـهـيـ بـعـدـ غـدـ شـهـرـهـاـ التـاسـعـ؛ـ تـسـعـةـ شـهـرـاـ مـرـيـرـةـ مـتـرـعـةـ بـالـآـلـامـ عـاـشـهـاـ الـشـعـبـ الـسـوـرـيـ،ـ تـعـرـضـتـ خـالـلـهـاـ مـدـنـ وـمـنـاطـقـ وـاسـعـةـ إـلـىـ الـاجـتـياـحـ وـالـتـدـمـيرـ وـالـقـتـلـ وـالـتـهـيـجـ،ـ اـجـتـياـحـ وـقـتـلـ فـيـ مـنـاطـقـ السـنـةـ الـثـائـرـةـ شـارـكـتـ فـيـهـ عـصـابـاتـ مـسـلـحةـ جـمـعـ الـنـظـامـ عـنـاصـرـهـاـ مـنـ الـقـرـىـ الـعـلـوـيـةـ،ـ وـكـانـ يـمـكـنـ لـلـثـورـةـ الـمـكـلـوـمـةـ أـنـ تـصـرـخـ بـأـعـلـىـ صـوـتـهـاـ:ـ "إـنـهـ حـرـبـ طـائـفـيـ يـاـ أـيـهاـ الـعـالـمـ"ـ!ـ وـلـكـنـهـاـ لـمـ تـفـعـلـ لـأـنـهـاـ تـعـلـمـ أـنـ الـنـظـامـ يـرـيدـ تـلـكـ الـحـرـبـ وـيـدـفـعـ إـلـيـهـاـ وـهـوـ الـمـسـتـفـيدـ الـوـحـيدـ مـنـهـاـ،ـ فـأـثـرـتـ الـثـورـةـ أـنـ تـعـضـ عـلـىـ الـجـرـحـ بـكـرـيـاءـ وـأـنـ تـجـاهـلـ مـاـ بـدـاـ أـنـهـ حـرـبـ طـائـفـيـ يـشـنـهـاـ الـنـظـامـ لـقـمـعـهـاـ وـإـنـهـاـنـهاـ.ـ تـسـعـةـ أـشـهـرـ مـرـتـ عـلـىـ هـذـهـ الـمـأسـاةـ وـالـعـالـمـ وـالـغـرـبـ يـرـىـ وـيـسـمـعـ،ـ وـلـكـنـهـاـ لـمـ يـسـتـنـكـرـ وـلـمـ يـقـلـ مـرـةـ وـاحـدـةـ إـنـ فـيـ سـوـرـيـاـ حـرـبـاـ طـائـفـيـ أـوـ حـرـبـاـ أـهـلـيـةـ،ـ وـفـجـأـةـ وـلـدـ هـذـاـ

المصطلح وراح يطير متنقلًا في الدوائر السياسية الغربية، من وزارة الخارجية الأميركية إلى الفرنسية وصولاً إلى الأمم المتحدة. لماذا؟ لأن عشرين علويًا قُتلوا في حمص -في ظروف أقل ما يمكن أن يُقال إنها غامضة-. أم لأن الجيش الحر هاجم مركزاً من مراكز المخابرات الجوية لتحرير معقله؟

كان يمكن أن نتجاهل تلك الإشارات ونفترض فيها حسن النية، ولكن سرعان ما اتضح أنها مقدمة وتمهد للموضوع الرئيسي: مستقبل الطائفة العلوية في سوريا.

فجأة بدؤوا يتحدثون عن الحرب الأهلية، ثم تحدثت وزيرة الخارجية الأميركية عن ضرورة وجود ضمانات لسلامة الطائفة العلوية، وصدر تصريحها العجيب هذا في وقت قريب جداً من صدور تقرير "مجموعة الأزمات الدولية" عن سوريا، وقد صدر في الرابع والعشرين من الشهر الماضي باسم "مياه غير مطرودة: التأمل في تبعات الديناميكيات السورية" وخصص مساحة واسعة للموضوع نفسه. هل هذا التوافق محض مصادفة؟ أشك كثيراً، وعلى كل عاقل أن يشك.

لا بد من فهم دور "مجموعة الأزمات" وأهميتها في السياسة الدولية قبل الاستمرار في موضوعي الرئيسي، ولكن المقالة ستطول كثيراً لو أردت تقديم صورة مفصلة عنها، لذلك سأكتفي بخلاصة موجزة لا بد منها: ولدت هذه المجموعة منذ ست عشرة سنة على شكل منظمة مستقلة غير ربحية لا تتبع أي حكومة، هدفها المعلن هو منع النزاعات الدولية قبل حدوثها. مؤسسو المجموعة وأعضاؤها اللاحقون هم جماعة من السياسيين الكبار الذين كانت لهم مناصب عالية في الدول الغربية، من بينهم نائب سابق للبنك الدولي (وهو -لمن لا يعرف- واحد من أهم الأذرع الاستعمارية للدول الغربية)، ورئيس خارجية أسترالي سابق، وسفير أمريكي سابق في الأمم المتحدة، ورئيس الشؤون الخارجية السابق في المفوضية الأوروبية... وتضم لجنتها التنفيذية الحالية ستة أشخاص من بينهم الثري العالمي السيئ الصيت جورج ساورس، المسؤول عن كثير من كوارث الدول الفقيرة في العالم الثالث، ويضم مجلس الأمانة عدداً من الأسماء المشبوهة منهم محمد البرادعي، لعبة أمريكا المفضلة في المنطقة، كما تضم قائمة مستشاري المجموعة ستين شخصية من دول مختلفة منهم شمعون بيريز!

لمجموعة الأزمات نفوذ كبير على دوائر صنع القرار في الغرب، وتحديداً في الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي وأيضاً في الأمم المتحدة. وبغض النظر عن الأشخاص الذين يشكلون المجموعة -وكثيرون منهم صهيونيّ الميل والهوى- فإننا نستطيع النظر إلى أعمالها لنحكم عليها بصورة أفضل، وسوف نفاجأ حينما نجد أن حيادها المزعوم في التعامل مع النزاعات الدولية تنقضه أنشطتها وبرامجها العملية، فقد كان لها دور كبير، بل ربما الدور المحوري، في تقسيم السودان، وما تزال تلعب دوراً كبيراً مشبوهاً في أزمة دارفور، كما تدخلت بشكل سافر ومنحاز في النزاع الصومالي الأثيوبي... وبال مقابل لم يصدر عنها أي موقف لا شفهي ولا عملي بشأن الاحتلال الأميركي للعراق وأفغانستان، ولم يحصل قط أن كان لها رأي مناهض لسياسة إسرائيل العدوانية والاستيطانية، ولا حتى أيام العدوان الإسرائيلي الكبير على غزة قبل ثلاث سنوات.

وها هي مجموعة الأزمات تطلّ اليوم على سوريا بوجهها القبيح، فماذا تريد؟

-3-

اعتماداً على تسريبات وأخبار متفرقة يبدو أن القوم يخططون لإسقاط النظام جزئياً لا كلياً، على أمل أن ينهي هذا الحل التوفيقية الثورة ويحفظ لهم مصالحهم على المدى الطويل، ولا سيما مصلحة الكيان الصهيوني الذي هو بيت القصيد في أي مخطط غربي لمستقبل سوريا. الجزء المهم من ذلك الحل التوفيقية هو إخراج الأسد من المعادلة -سواء بنفيه أو قتله- وكذلك أركان حكمه الكبار الذين لن يقبل الشعب ببقائهم بأي حال، وإنشاء حكم ديمقراطي جديد في سوريا. هذا الجزء من المؤامرة هو أهون الجزأين ويمكن بلعه، الثاني أسوأ وأكثر شرّاً ولا يُبلع، ولو بلع فإنه لا يُهضم: إنهم يخططون لإبقاء أجهزة

الأمن والجيش بيد مسؤولين من الطائفة العلوية، مبرّرين ذلك بضمان سلامه الطائفية والحليلولة دون أعمال انتقامية متوقعة في حال سقوط النظام الحالي.

هذه هي بالذات المؤامرة الكبرى التي أشرت إليها في آخر المقالة الماضية، وهذا هو الجزء الذي لم تتحدث عنه علانيةً الخطبة الانتقالية التي طرحت حلًا للأزمة السورية مشابهاً لحل الأزمة في اليمن، حينما تجاهلت تماماً الإشارة إلى الجيش وإلى أجهزة الأمن على الرغم من أنها هي الجهة الحاكمة فعلاً في البلاد.

أخيراً انكشف الستر وبيان الخبيء الذي حرصوا على إخفائه والذي ما زالوا يماطلون من أجله كل هاتيك الشهور الطوال. لقد لبثنا نحذّر -أنا وأمثالي من الكتاب والمحدثين، ممن هم أعلم مني وأفهم في شؤون السياسة والعلاقات الدولية-، لبثنا نحذّر من التدخل الأجنبي حتى انبرت ألسنتنا ونفذ مداد أقلامنا، فهل ظننت أنهم سيتدخلون لمساعدتنا حباً بنا وحرصاً علينا ورحمة بصغراناً وضعفائنا؟ أليسوا هم أنفسهم الذين دعموا حكم الأسد الكبير ومن بعده ابنه الأسد الصغير؟ مجرم من صلب مجرم لا يدعمه ضد شعبه إلا مجرم! أما فهم بعد -يا أيها العقلاة- أن أولئك القوم عدو لنا، وأن مَن اطمأن إلى عدوه لا يكون عاقلاً؟ أما علمتم بعد -يا أيها العقلاة- أنهم لم يحبُّونا في يوم قط ولا يحبُّونا اليوم، **وأنهم لا يتدخلون في بلادنا إلا ليضمنوا مصالحهم ومصالح عدونا الصهيوني؟**

أرجو أولاً: أن لا تستهينوا بما يخططه لنا أولئك القوم، فإنهم قوم غير مأمونين، وهم أيضاً ذوو نفوذ وتأثير في دوائر صنع القرار السياسي في الدول الغربية والمنظمة الدولية.

ثانياً: أرجو أن تتحرکوا بسرعة لقطع الطريق على أي خطة من هذا النوع، فلا أنا ولا مائة من أمثالی نستطيع أن نصنع شيئاً ولا نملك عشر عشار القوة التي تملكونها أنتم يا أيها الثوار الأحرار على أرض الجهاد والرباط. في المقالة الماضية حرصت على أن أوضح أنكم أنتم -يا جمهور الثورة العظيم- الطرف الأقوى من بين الأطراف جميعها، وبالغت في بيان تلك النقطة واستطردت فيها لأصل إلى هذه الكلمة هنا: أنتم أقوى منهم، أنتم دفعتموهن إلى التحرك لحل الأزمة، ولو أن النظام نجح في قمع ثورتكم لأراهم وأفرحهم، ولكن صبركم وثباتكم أريك كل الحسابات ودفعهم إلى البحث عن مخرج، وطالما تشبتتم بهدفكم ورفضتم الحلول الوسطية والتوفيقية فإنهم مضطرون إلى الإذعان لكم والبحث عن طرائق أخرى لتمرير مؤامراتهم.

**يا ثوار سوريا الأحرار:** من رأى العبرة بغيره فليعتبر. ها هم إخوانكم السابقون في مصر أُوقدوا ثورة عارمة انتهت بسقوط حاكم وبقاء نظام، وها هم اليوم يجهدون لإكمال الطريق بعدما فقدت الثورة قوتها الدافعة، فلا ترتكبوا الخطأ الذي ارتكبوه ولا ترضوا بغير النصر الكامل؛ لا يعودنَّ إلى بيته أحدٌ منكم حتى يسقط النظام، كل النظام، وحتى تحرر سوريا كلها بإداراتها وأجهزتها الأمنية وجيشهَا من تسلط النظام وتحكم النظام وحتى تعود ملكاً للشعب، لا لأحد سوى الشعب، لا لعائلة ولا لعصابة ولا لطائفة، كائنة تلك العائلة أو العصابة أو الطائفة مَن تكون.

-4-

أعيد وأكرر وسوف أكرر من بعد وأعيد: أنتم الطرف الأقوى من بين الأطراف كلها، أنتم قادة اللعبة وفي يدكم مفاتيح الحل لا في أيادي غيركم. أنتم أقوى من النظام، والدليل أن النظام لم يهزكم. أنتم أقوى من المجتمع الدولي، والدليل أن المجتمع الدولي، يتحرك بناء على إيقاع ثورتكم. إياكم أن تستسلموا لمؤامرات الغرب أو تتخذلوا بها، إياكم.

لقد دفعتم إلى اليوم ثمناً عظيماً لشراء سلعة ثمينة، دفعتم لشراء الحرية عشرة آلاف شهيد ومئات الآلاف من المعتقلين والمغيَّبين والمشريدين والمعذَّبين، فلا تقبلوا أن تعودوا إلى نقطة البداية. أقسم بالله إن مليون شهيد، على رأسهم أنا وأولادي الخمسة -بإذن الله-، يهونون في سبيل عدم العودة إلى أول الطريق. لقد ارتكب آباءنا وأجدادنا الخطأ الأكبر حينما سمحوا بتسليط الأقلية العلوية على سوريا، وبسبب تقصيرهم وسكتتهم دخلت سوريا في نفق مظلم طويل بلغ طوله -وأنا أكتب هذه

الكلمات.. ثمانية وأربعين عاماً وتسعة أشهر وخمسة أيام، والله وحده يعلم كم بقي من طوله المشؤوم قبل بلوغ نهايته والخروج إلى النور.

لن تكون مغفلين فقط لو رضينا بأن نبقى تحت رحمة الأقلية العلوية بعد اليوم، سوف تكون بالأحرى مجرمين بحق أنفسنا وبحق أولادنا والأجيال القادمة.

بسبب تسلط الأقلية العلوية على سوريا عاشت سورياأسوء فترة مرت عليها في بضعة عشر قرناً، فإننا ما عرفنا المجازر والإبادات الجماعية إلا في اجتياح المغول والتنار الأول والثاني، وإنما استمرّت المحنة حينها - على قسوتها - بضع سنين، أما أن نعيش نصف قرن في المحنة والعذاب فلا سابقة لذلك في تاريخ سوريا المدون، ولا حتى أيام العثمانيين الذين ظلمتهم مناهج التعليم البعثية القومية وتابعناها نحن على ظلّهم غفلاً منا وتتأثراً بالمناهج التي قرأتناها لأجيال، وقد آن الأوان أن نصحّ الخطأ وأن نعلم أن العهد العثماني كان خيراً بألف مرة من العهد الأسدية البائس، وأن سوريا عاشت تحت ظل تلك الدولة لقرون في أمان واستقرار.

لا والله لن نسكت بعد اليوم ولن نرضى أن تحكمنا ولا أن تحكم فيينا أقلية. سنقبل أن يشاركونا الآخرون، هذا حق محفوظ للجميع. سنحرص على أن يعيش كل سوري في وطنه بكرامة وأمان، هذا هو جوهر الحرية التي نسعى إليها. سنضمن العدالة للجميع - بإذن الله - ولن يحاسب إلا المجرمون، من أي فئة كانوا... أما أن تحكم أقلية أكثرية الشعب فلا وألف لا. ليقل عنى من شاء أن يقول إني طائفى، وليرى عنكم من شاء أن يقول إنكم طائفيون، فإن طائفياً حراً أهون من لا طائفى يعيش هو ذريته حياة العبيد.

\*\*\*

يا أيها التوار الأحرار، يا جند الشام الكرام: أصرخوا في وجه وزيرة خارجية أميركا وفي وجه مسؤولي وقادة المجتمع الدولي والغربي: لا للجيش الطائفى، لا لأجهزة الأمن الطائفية، لا لحكم الأقلية العلوية، لا لأى مزايا خاصة بالعلويين فى سوريا، سوريا وطن حر للجميع ولا إعلاء فيه لطائفة على طائفة.

لا بل امضوا في هتافكم إلى أبعد من ذلك، اهتفوا في وجه الدنيا: "تريد ضمانات لحماية الأقلية في سوريا". إن من مهازل الزمان أن تسعى الأقلية إلى طلب ضمانات لحمايتها من الأقلية، ولكن هذا ما أوصلتنا إليه مؤامرات الغرب على بلادنا، من أيام الفرنسيين الغابرة إلى أيام الأميركيان الحاضرة. ولكن ليس اليوم كالأمس؛ لن تأكلونا مرة أخرى - بإذن الله -؛ نقسم بالله العظيم إنّا لن نقبل أن نعود إلى النفق المظلم بعدما خرجنا إلى النور، ليس بعد مائة ألف معذب وعشرة آلاف شهيد.

المصدر: موقع الزلزال السوري

المصادر: